



اتصلت بصديق لي قبيل أسابيع من وقت إجازتي القصيرة وسألته، ما أخبار حلب؟" خرج زورها؛ واقضي كم يوم مع الشباب في المشفى؟"

قال: "الأوضاع جوًّا غير مريحة، الاقتتال الداخلي في ازدياد والأمور فوضوية، لا أنصحك بذلك" فحدثت نفسي: خير إن شاء الله، عملت اللي علي، "يا جامع بابك مسّكّر وأنا مستريح!"

وصلت إلى إسطنبول... التقيت صدفة في اجتماع مع شاب هادئ ذكرتني ابتسامته الدافئة على الفور بالوقت الذي التقيت به منذ أكثر من عامين... أخذني بالأحضان وسألني عن أخباري... أجبته إجابة مكرورة روتينية، ثم قلت: وأنت ماذا تفعل هذه الأيام؟

قال: وصلت منذ قليل من حلب، وسأعود إليها بعد يومين...

سألته: أليست الأوضاع خطيرة؟ سمعت أن هناك خطر حصار للمدينة؟

أجابني: نعم، لو تقدم الجيش السوري كيلومترًا واحدًا لطوق المدينة وقطع مدخلها المتبقى الوحيد!

فقلت: وستعود رغم ذلك؟

- نعم

- وزوجتك وأولادك، أين هم؟

- في (...), حصلنا على جنسيتها منذ سنوات عديدة، هم يعيشون هناك الآن، كنت عندهم لمدة أسبوعين وعدت إلى حلب منذ أيام.

- "لم لا تزورنا وندخل سوية؟"

صمنت للحظات وتردلت، ثم سأله: "هل لزيارتني فائدة؟" – بالمناسبة أنا أخصائي تقويم أسنان ولست جراحًا –

قال: نعم، بلا شك... سيسعد الشباب بزيارتكم

تحمسـت وقلـت في نفـسي، هل مازـال يـمـكـن إـحـدـاث فـرـقـ في سـورـيـا؟... لا أـدـريـ...

ولـكـ أـتـنـي دـعـوـة صـادـقـة... ولـنـ أـفـوـتهاـ!

اتصلـت بـصـديـقـ مـطـلـعـ... ماـذـا تـنـصـحـ؟ هلـ الـوـضـعـ آـمـنـ؟ قالـ أـعـطـنـي دـقـائـقـ وـأـرـدـ لـكـ الـخـبـرـ

بعـدـ عـشـرـ دـقـائـقـ أـتـانـي اـتـصـالـ منـ رـقـمـ لـمـ أـعـرـفـهـ، السـلـامـ عـلـيـكـ دـكـتـورـ، مـعـكـ أـبـوـ(...ـ) وـمـعـيـ الـدـكـتـورـ (...ـ) وـنـحنـ فـيـ الـطـرـيـقـ إـلـىـ

حـلـبـ بـعـدـ أـنـ عـرـنـاـ الـحـدـودـ، سـمـعـنـاـ أـنـكـ سـتـزـورـنـاـ، مـتـىـ إـنـ شـاءـ اللـهـ؟ـ

ـ سـأـلـحـقـكـ بـعـدـ يـوـمـيـنـ بـإـذـنـ اللـهـ...ـ

ـ أـهـلـاـ وـسـهـلـاـ بـكـ، بـالـسـلـامـةـ حـكـيـمـ...ـ

ـ ثـمـ ضـاعـ الصـوـتـ بـيـنـ ضـعـفـ إـشـارـةـ وـضـجـيـجـ الـطـرـيـقـ...ـ

ـ كـانـ الـمـتـصـلـ الـدـكـتـورـ (...ـ) مـديـرـ مـشـفـىـ ١ـ فـيـ حـلـبـ وـمـعـهـ الـدـكـتـورـ (...ـ) مـنـ مـؤـسـسـيـ الـمـجـلـسـ الـطـبـيـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ بـعـدـ أـنـ عـادـ

ـ حـدـيـثـاـ مـنـ جـوـلـةـ فـيـ عـدـةـ وـلـاـيـاتـ أـمـرـيـكـيـةـ إـلـاـقـاءـ الضـوـءـ عـلـىـ مـسـتـجـدـاتـ الـأـوـضـاعـ الـطـبـيـةـ فـيـ حـلـبـ.

ـ عـادـ مـنـ فـنـادـقـ أـمـرـيـكـاـ إـلـىـ مـشـافـيـ حـلـبـ...ـ

ـ كـانـ صـوـتـهـمـاـ وـأـنـقـاـ، سـعـيـدـاـ، وـهـارـئـاـ...ـ

ـ لـيـسـ صـوـتـ رـجـلـينـ يـسـيرـاـ بـمـلـءـ إـرـادـهـمـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ تـعـتـبـرـ الـأـخـطـرـ فـيـ الـعـالـمـ...ـ لـيـعـمـلـاـ فـيـ أـكـبـرـ مـشـافـيـهـاـ الـتـيـ بـاتـتـ تـخـافـ

ـ الـكـتـائـبـ مـنـ جـيـرـتـهـاـ لـكـثـرـةـ اـسـتـهـدـافـهـاـ!

ـ كـانـ صـوـتـ طـبـيـبـيـنـ عـالـمـيـنـ بـأـهـمـيـةـ جـهـاـهـمـ، وـأـنـقـيـنـ بـنـصـرـ اللـهـ، مـؤـمـنـيـنـ بـقـضـائـهـ، مـتـوكـلـيـنـ عـلـيـهـ...ـ

ـ كـانـ صـوـتـ صـنـفـ مـنـ الـرـجـالـ الـذـيـنـ أـعـلـمـ أـنـ رـفـقـتـهـمـ مـكـسـبـ، وـمـجـالـسـتـهـمـ مـدـرـسـةـ، وـتـعـلـمـ مـنـهـمـ فـرـصـةـ لـيـمـكـنـ تـضـيـعـهـاـ...ـ

ـ زـيـارـةـ حـلـبـ الصـامـدـةـ فـرـصـةـ لـاـ تـفـوتـ، كـماـ هـيـ زـيـارـةـ أـيـ مـدـيـنـةـ حـرـةـ فـيـ سـورـيـاـ.

ـ وـلـكـنـ...ـ عـلـىـ زـائـرـ أـرـضـ سـورـيـاـ التـواـضـعـ...ـ

ـ عـلـىـ زـائـرـهـاـ اـغـتـنـامـ الـفـرـصـةـ لـيـشـحـنـ إـيمـانـهـ مـنـ جـدـيدـ...ـ وـيـجـدـدـ مـنـ عـزـيمـتـهـ...ـ وـكـيـفـ لـاـ يـفـعـلـ ذـلـكـ وـهـوـ يـرـىـ الـأـطـفـالـ يـلـعـبـونـ فـيـ

ـ الـأـزـقـةـ الـتـيـ زـادـ ضـيـقـهـاـ مـنـ الرـكـامـ...ـ

ـ وـيـرـىـ النـسـاءـ تـمـشـيـ بـهـدـوـءـ فـيـ فـضـاءـ تـزـاحـمـ عـلـيـهـ الضـجـيـجـ وـالـغـبـارـ وـالـدـخـانـ...ـ لـمـ يـرـضـيـنـ الـهـرـبـ...ـ وـلـمـ يـقـبـلـ بـلـقـبـ نـازـحـاتـ أـوـ

ـ لـاجـئـاتـ...ـ

ـ بـقـيـ فـيـ حـلـبـ الـمـحـرـرـةـ ثـلـاثـمـائـةـ أـلـفـ نـسـمـةـ بـعـدـ أـنـ كـانـتـ أـكـثـرـ مـنـ مـلـيـونـيـنـ مـنـذـ عـامـ!

ـ قـالـ لـيـ صـدـيقـيـ الـذـيـ شـجـعـنـيـ عـلـىـ الدـخـولـ وـنـحـنـ نـسـيرـ بـالـسـيـارـةـ فـيـ شـوـارـعـ ضـيـقـةـ تـحـفـهـاـ وـاجـهـاتـ الـمـبـانـيـ الـمـهـدـمـةـ وـيـتـزـاحـمـ

ـ فـيـهـاـ الـرـجـالـ وـالـرـكـامـ"ـ كـيـفـ نـتـرـكـ كـلـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ لـهـمـ؟ـ هـلـ هـذـاـ يـعـقـلـ؟ـ لـنـ نـفـعـلـ ذـلـكـ...ـ هـذـهـ أـرـضـنـاـ وـمـدـيـنـتـنـاـ...ـ وـسـتـبـقـيـ كـذـكـ"

ـ حـلـبـ مـدـيـنـةـ عـظـيـمـةـ تـحـضـنـ الـرـجـالـ...ـ وـتـلـهـمـ بـصـمـودـهـاـ الـأـبـطـالـ...ـ وـيـلـتـجـيـءـ بـدـفـئـهـاـ وـحـنـانـهـاـ مـئـاتـ الـأـلـافـ مـنـ الـأـطـفـالـ...ـ

ـ لـاـ تـنـنـاسـوـ حـلـبـ...ـ

ـ لـاـ تـتـخـلـوـ عـنـهـاـ...ـ

ـ لـاـ تـتـجـاهـلـوـ صـمـودـ أـبـطـالـهـاـ...ـ

لا تخذلوا أطباءها...

لا تبخلا بوقتك ومالكم عليها...

مشافي حلب باتت تتأهب لحصار وشيك... وأخذ معظم أطبائها قرار البقاء.

ما زالوا صامدين... عمل مستمر لا تقطعه إلا لحظات هادئة لصلاة الجمعة... وسهرات سامرة سعيدة صادقة...

مشافي حلب تضم خيرة الرجال الأطهار... إيمانهم راسخ... ونورهم يضيء ويشع ويلمس كل من يقاربه...

أدعوا أصحاب القلوب الحائرة المتعبة مثل قلبي إلى زيارتها، أو حتى التواصل مع أبطالها...

لن أبقى بها طويلاً، مجرد يومين أو ثلاثة... وأعود بعدها إلى عملـيـ الـهـادـيـ فيـ عـيـادـتـيـ الصـغـيرـةـ الـبـارـدـةـ!

عملـيـ الأـكـثـرـ أـمـانـاـ لـجـسـديـ...ـ وـلـكـنـهـ الأـكـثـرـ خـطـورـةـ عـلـىـ قـلـبـيـ...

لـعـلـيـ لـمـ أـصـلـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ أـسـتـحـقـ بـهـ شـرـفـ الـرـبـاطـ...

لـعـلـيـ أـحـاـوـلـ تـلـصـصـ عـلـىـ مـلـحـمـةـ جـهـادـ نـادـرـةـ...

لـعـلـ اللهـ يـقـبـلـ مـنـيـ لـحـظـاتـ صـدـقـ لـاـ تـضـيـعـهـ كـلـمـاتـيـ المـتـطـلـلـةـ...

لـمـ أـكـتـبـ هـذـهـ مـقـالـةـ لـأـقـولـ لـلـنـاسـ إـنـنـيـ إـلـآنـ فـيـ حـلـبـ،ـ وـأـحـاـوـلـ الزـهـوـ بـذـلـكـ...

كـتـبـتـهـ لـأـقـولـ لـهـمـ...ـ أـيـامـنـاـ سـتـمـضـيـ...ـ وـأـمـوـالـنـاـ سـتـنـفـقـ...ـ وـأـرـوـاحـنـاـ سـتـذـبـلـ بـطـيـئـاـ ثـمـ تـطـيـرـ فـجـأـةـ...

وـلـكـنـ أـرـضـ سـوـرـيـاـ بـاقـيـةـ...ـ وـأـطـفـالـهـ سـيـكـرـوـنـ...ـ وـتـارـيـخـهـ مـاضـٍ...ـ وـمـسـتـقـبـلـهـ قـادـمـ...

فـلـنـحـرـصـ عـلـىـ أـنـ يـكـرـمـنـاـ اللـهـ بـاـسـتـخـدـامـنـاـ لـاـ لـسـتـبـدـالـنـاـ.

من صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: